﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: 145]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيانُ بعضِ مَظاهرِ تشْريفِ مُوسَى الكليمِ بالرّسالةِ، بعدَ ذِكْرِ اصْطفائِهِ

ولمّا انقضى ما آنسه سُبحانَه به، لَفَتَ مُوضِّحًا عظيمَ ما آتاهُ مِن مَظاهرِ التّشريفِ والعظمةِ، مُبيِّنًا تلكَ الرِّسالةَ، ومُفصِّلًا بعضَ ما كانَ مِنَ النِّعَمِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْأَلْوَاحِ﴾: اللَّامُ والواوُ والحاءُ أَصلٌ صَحيحٌ، مُعظَمُهُ مُقَارَبَةُ بَابِ اللَّمَعَانِ. يُقَالُ: لَاحَ الشَّيءُ يَلُوحُ، إِذَا لَمَحَ وَلَمَعَ، وَالمَصدَرُ اللَّوحُ، وهو: الوَاحِدُ مِن أَلوَاحِ السَّفينَةِ؛ وَهُوَ أيضًا كُلُّ عَظمٍ عَريضٍ. وَسُمِّيَ لَوْحًا لِأَنَّهُ يَلُوحُ[2]. المعنى المحوريُّ عِرَضُ ظاهرِ الشَّيءِ واستواؤُهُ مع جفافٍ أو صَلابةٍ. وعِرَضُ الظّاهرِ واستواؤُهُ يَلزمُهُ زيادةُ ظهورِهِ ولمعانِهِ[3]. وهذا بيانُ علاقةِ اللّفظِ بأصلِهِ. فاللّوْحُ: كلُّ صحيفةٍ عَريضةٍ مِن صفائحِ الخشبِ والعظمِ، ونحوهما[4]، وبذا يكونُ معنى الأَلواحِ في الآيَةِ الكريمةِ جَمعَ لَوحٍ بِفتحِ اللّامِ، وهو قِطعَةٌ مُرَبَّعَةٌ مِنَ الخشبِ، يُكتَبُ عليها[5].

2) ﴿مَّوْعِظَةً﴾: الوَاوُ والعَينُ والظَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. فَالوَعظُ: التَّخويفُ. والعِظَةُ المَوعظةُ الاسمُ مِنهُ، وهو تذكيرُكَ إيّاهُ الخيرَ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/110.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لوح).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لوح).
(4) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (لوح).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/96.

ونحوَهُ ممّا يرقُّ له قلبُهُ، ويلينُ مِن ثَوَابٍ وعِقابٍ[1]. والوَعظُ: النُّصحُ والتّذكيرُ بالعَواقبِ[2]، وهوَ أيضًا: زَجرٌ مُقترِنٌ بتخويفٍ[3]. ومِن معانيه أنْ لا تُنشئَ حُكمًا للسّامعِ، بل تَعظه بتنفيذِ ما عُلِمَ له مِن قبل[4]. والموعظةُ على هذا (كلامٌ أو عملٌ) يُنَبَّهُ به الإنسانُ إلى عواقبِ ما يفعلُهُ، أو ما هو مُقْدِمٌ عليه (ليتوقَّفَ عنه)، كما هو واضحٌ في معنى الوعظِ. وقَيْدُ التَّوقُّفِ يُؤخَذُ مِنَ التّذكيرِ بالعَواقبِ، وكأنّ الأصلَ في معنى التّركيبِ أنَّه خاصٌّ بالزّجرِ عمَّا له عواقبُ سيّئةٌ حسَب، ثمّ عُمِّمَ في الحضِّ على ما له ثوابٌ[5].

3) ﴿بِقُوَّةٍ﴾: القَافُ والوَاوُ والياءُ أَصلَانِ مُتَبَايِنَانِ، يدُلُّ أَحَدُهُما على شِدَّةٍ وخِلَافِ ضَعفٍ، وهو القُوَّةُ، وَالقَوِيُّ: خِلَافُ الضَّعيفِ. وأَصلُ ذَلِكَ مِنَ القُوَى، وَهِيَ جَمعُ قُوَّةٍ مِن قُوَى الحَبلِ[6]. وتُستعمَلُ تارةً في مَعنى القُدرةِ نحو قولِهِ تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: 63]، وتارةً للتَّهيُّؤِ المَوجودِ في الشّيءِ، ويُستعمَلُ ذلكَ في البدَنِ تارةً، وفي القلبِ أُخرَى، وفي المُعاوِنِ مِن خارجٍ تارةً، وفي القُدرةِ الإلهيّةِ تارةً[7]، وما في القرآنِ مِن تركيبِ (القوّة) بمعنى شِدّةِ البدنِ والتئامِ الأثناءِ، وهو ضدُّ الضّعفِ[8]؛ أي: بجدٍّ وصحّةٍ وعزيمةٍ[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

معنى الآيةِ أنَّنا أعطيْنا مُوسى عليه السلام ألواحًا، كتبْنا له فيها مِن كلِّ

كِتابةُ الألْواحِ مَوعظةٌ وتفصيلٌ، والأمْرُ بأخْذِها بقوّةٍ وقُدْوةٍ

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم: (وعظ).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (وعظ).
(3) الرّاغب، المفردات: (وعظ).
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4348.
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وعظ).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوي).
(7) الرّاغب، المفردات: (قوى).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قوو).
(9) الواحديّ، الوجيز، ص: 412.

نوعٍ مِن أنواعِ الهِدايةِ، يحتاجُ إليها في أمرِ دينِهِ، مَوعظةً مِن شأنِها أن تُؤثِّرَ في القلوبِ ترغيبًا، وترهيبًا، وتفصيلًا لكلِّ نوعٍ مِن أصولِ التّشريعِ، وهي أصولُ العقائدِ والآدابِ، وتفصيلُ أحكامِ الحلالِ والحرامِ والحدودِ، وأمرناهُ بأخذِها بجدٍّ، وصحّة عزيمة، واجتهادٍ، وقوّةِ قلبٍ، وأن يَأمُرَ قومَهُ أن يأخذوا بأحسنِها - وكلُّها حسنٌ -، بأنْ يحلُّوا حلالَها، ويُحرِّموا حرامَها، ويتدبَّروا أمثالَها، ويَعملوا بمُحكمِها، ويقفوا عندَ مُتشابِهِها، أو يأخذوا بأحسنِ الأمرين منها في كلِّ شيءٍ.

سأريكُم جهنَّمَ، ولْتكنْ على ذكرٍ مِنكُم لِتحذروا أن تكونوا منهُم، أو أريكُم مَنازِلَ القرونِ الماضيةِ في الشّامِ الّذين خالَفُوا أمرَ اللّهِ لِتعتبروا بها. وقِيل: أرادَ دارَ فِرعونَ وقومِهِ، وهي مِصرُ، وقِيلَ: مَصارِعُ الكفّارِ، أو: ما مرُّوا عليهِ إذا سافروا مِن مَنازِلِ عادٍ وثمودَ والقرونِ الّذين أهلكوا[1].

وتُرشِدُ الآيَةُ الكريمةُ إلى أنَّ الكتابَ الإلهيَّ وتشريعاتِهِ يجبُ أخذُها بقوّةٍ وإرادةٍ وجدٍّ وعزيمةٍ؛ لِتنفيذِ ما هدَتْ إليها مِنَ الإصلاحِ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الوصْلِ:

العُـدولُ إلى العطفِ صلةٌ

عُطِفَ على جملةِ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾؛ لأنَّ فيها: ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾، والّذي آتاهُ هو ألواحُ الشَّريعَةِ، أو هو المَقصودُ مِن قولِهِ: ﴿مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾[3].

التّعبير بالماضِي في ﴿وَكَتَبۡنَا﴾، وإضافتُه إلى نفْسِهِ:

دلالة على وقوعِ الفعلِ بصِيغةِ التّشْريفِ

التَّعبيرُ بالماضي دلالةٌ على تحقُّقِ وقوعِ الفعلِ، وأضافَ الكتابةَ

(1) الواحديّ، الوجيز، ص: 412، والبغويّ، معالم التّنزيل: 3/281 - 282، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/163.

(2) محمد رضا، تفسير المنار: 9/167.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/96.

إلى نفسِهِ على جهةِ التّشريفِ؛ إذ هي مَكتوبةٌ بأمرِهِ ووحْيِهِ سواءً كانَ الكاتبُ لها مُوسى أو كتبَها جبريلُ ﷺ بالقلمِ الّذي كَتَبَ به الذِّكرَ[1]، أو بمعنى: أنّ ذلكَ كانَ بمحضِ قُدرةِ اللّهِ تعالى، وصُنعِهِ مِن غيرِ فعلِ إنسانٍ، فلا كَسبَ لأحدٍ فيهِ[2].

نُكتَةُ الالْتفاتِ إلى ضَمِيرِ التَّعظيمِ، في: ﴿وَكَتَبْنَا﴾:

شـأنُ كِـتـابـةِ الأَلـوَاحِ عظيمٌ، وكتابتُها كانت بِعَظمتِهِ تعالى

لمّا كانَ قوامُ أمرِ الآيَةِ السَّابقةِ مَبنيًّا على إظهارِ عطاياه تعالى على مُوسى ﷺ مَحفوفةً بالتَّشريفِ، والتّأنيسِ، والتَّسليةِ عمّا أصابَهُ مِن عدمِ الرُّؤيةِ، وإزالةِ ما راعَهُ مِن مَشهَدِ الرُّؤيةِ كانَ مُناسبًا أن يأتي بضَميرِ الإفرادِ (تاء الفاعل لِلمُتكلِّم، وياء المُتَكَلِّم)؛ للدّلالةِ على القُربِ، وحينَ انتقلَ إلى مَشهَدِ كتابةِ الأَلوَاحِ الّذي لا يُشاركُهُ في كتابتِها أحدٌ، ولِعِظَمِ شأنِها بوصْفِها شرائعَ دينٍ، وأحكامَ مِلّةٍ، وقوانينَ حياةٍ، ناسبَ ذلك التَّعبيرُ بضَميرِ التَّعظيمِ (نا)، أو كتبْنا الأَلوَاحَ بعَظَمَتِنا[3].

نُكتةُ تعريفِ ﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾:

التَّـنـبـيـهُ على عَـظَـمـتِـهـا واخْـتـصَـاصِـهـا بهذا الاسْمِ

عرّفَ ﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾؛ لعظمتِها، وتنبيهًا على أنَّها لِجَلالةِ ما اختُصَّت بهِ، كأنَّها المُختَصَّةُ بهذا الاسمِ، وأعظَمُ مِن هذا، جَعَلَ قَلبَ النَّبيِّ الأُمِّيِّ لَوحًا قابلًا لِما يُلقَى إلَيهِ، جامعًا لِعُلُومِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ[4]. والتَّعريفُ في ﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾ يجوزُ أن يكونَ تعريفَ العهدِ، إنْ كانَ ما آتيتُكَ مُرادًا بهِ ﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾ الّتي أُعطِيَها مُوسى في المُناجاةِ، فَساغَ أنْ تُعَرَّفَ تَعريفَ العَهدِ، كأنَّهُ قِيلَ: فخُذْ ألواحًا آتَيتُكَها، ثمّ قِيلَ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾، وإذا كانَ ما آتيتُكَ مُرادًا بهِ الرِّسَالةُ والكلامُ كانَ التَّعْرِيفُ في الأَلوَاحِ تعريفَ الذّهنيِّ (تعريف الماهيَّة)؛ أي: وكتبْنا

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/281، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/164.
(2) محمد رضا، تفسير المنار: 9/164، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/96.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/110.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/110.

لهُ في ألواحٍ مُعيَّنةٍ مِن جِنسِ ﴿ٱلْأَلْوَاحِ﴾[1]، وذَهَبَ ابنُ عطيّةَ إلى أنَّها عِوَضٌ مِنَ الضَّميرِ الّذي يُقَدَّرُ وصْلُهُ بينَ الأَلواحِ وموسى ﷺ، تَقديرُهُ: في ألواحِهِ، وهذا كقولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النّازعات: 39]؛ أي: مَأواهُ[2].

دَلالةُ ﴿مِن﴾ بينَ التّبعيضِ والاسْميّةِ:

بيانُ أنَّ المكتوبَ أشياءُ مِن كلِّ شيءٍ، لاسْتيعابِ مَطلوباتِ النّاسِ

و﴿مِن﴾ الّتي في قولِهِ: مِن كلِّ شيءٍ تبعيضيّةٌ؛ أي: كتبْنا له أشياءَ مِن كلِّ شيءٍ، مُتعلِّقةٌ بـ ﴿وَكَتَبْنَا﴾ ومفعولُهُ مَحذوفٌ دلَّ عليهِ فِعلُ كتبْنا؛ أي: مَكتُوبًا، ويَجوزُ جَعلُ ﴿مِن﴾ اسمًا بمعنى بَعضٍ، فيكونُ مَنصُوبًا على المفعولِ بهِ بِكَتَبنا؛ أي: كتبْنا لهُ بَعضًا مِن كلِّ شيءٍ، وهذا كقولِهِ تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النّمل: 16][3].

دَلالةُ العُمومِ في: ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾:

الاقْتِصارُ على ما يَحتاجونَهُ في دينِهِم، يجعلُه عُمومًا عُرفيًّا، وليسَ مُطلَقَ عمومٍ

﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ عامٌّ عُمُومًا عُرفيًّا؛ أي: كلُّ ما يحتاجُ إليه مُوسى وقومُهُ في دينِهِم مِنَ الحلالِ والحرامِ والمَحاسِنِ والمَقابِحِ[4] على طريقةِ قولِهِ تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 138] على أحَدِ تَأويلَينِ في أنَّ المُرادَ مِنَ الكتابِ القُرآنُ، وعلى طريقةِ قولِهِ تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3]؛ أي: أُصُولَهُ[5]. وقِيلَ: مِنَ التّذكيرِ والتّنبيهِ على عظمةِ اللّهِ وعزِّ سُلطانِهِ[6]، ومِنَ الأحكامِ والوعظِ[7].

سِرُّ الجمْعِ بينَ المَوعِظةِ والتّفصيلِ:

قولُهُ: ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ كالبيانِ للجملةِ الّتي

(1) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/452، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/96.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/452، وعارضَهُ السّمين الحلبيّ بأنَّه لا ضرورةَ في هذه الآيةِ تدعو إلى هذا التّوجيه. ينظر: الدُّرُّ المصون: 5/452.
(3) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/453، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/97.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/193.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/97.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 13/106.
(7) ابن عجيبة، البحر المديد: 2/259.

قدَّمَها بقولِه: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ وذلك لأنَّه تعالى قسَّمَهُ إلى ضَربَين: أحدُهُما: ﴿مَّوْعِظَةً﴾، والآخرُ: ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ لِما يَجِبُ أن يُعلَمَ مِنَ الأحكام، فَيَدخُلُ في المَوعظةِ كُلُّ ما ذكرَهُ اللهُ تعالى مِنَ الأمورِ الّتي تُوجِبُ الرّغبةَ في الطّاعَةِ والنَّفرَةَ عن المَعصيةِ، وذلكَ بذكرِ الوعدِ والوعيدِ، ولَمّا قرَّرَ ذَلكَ أوّلًا أتبَعَهُ بِشَرحِ أقسامِ الأحكامِ وتَفصيلِ الحلالِ والحرامِ فقالَ: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[1]؛ أي: أنَّ الكلامَ لم يأتِ مُجمَلاً، بل يأتي بالتّفصيلِ[2]. والمَوعِظةُ نُصحٌ بإرشادٍ مَشُوبٍ بتحذيرٍ من لَحاقِ ضُرٍّ في العاقبةِ أو بتحريضٍ على جَلْبِ نَفعٍ، مَغفُولٍ عنهُ[3]، وعبَّرَ عنهما بصيغةِ اسمِ المَصدرِ (المَوعظة)؛ لتعني الإتيانَ بالخبرِ على أحسنِ وجهٍ، وأتمِّهِ نَفعًا وبيانًا، وبالمَصدرِ (التّفصيل) لِمَا في ذلك مِن قوَّةٍ في التَّعبيرِ عنِ الحدثِ، وشدّةٍ في إرادتِهما.

قـرَّرَ ما يُوجِبُ الرّغبةَ بالطّاعةِ، ثـمّ أتـبـعَـهُ بتفصيلِ الحَلالِ والحَرامِ

فائِدةُ تقْديمِ المَوعظةِ على التَّفْصيلِ:

قولُهُ تعالى: ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أخذوا منه أنّه ينبغي للرّسولِ أن يُقدِّمَ المَوعظةَ والتّذكيرَ على التّكليفِ بالشّرائعِ والأحكام[4]؛ لكونِها الأولى في طريقِ التّبليغِ، وللإيذانِ بأنّ الاهتمامَ بها أشدُّ والعنايةَ بها أتمُّ، ولكونِها كذلكَ كَثُرَ مَدحُ النّبيِّ ﷺ بالبشيرِ النّذيرِ، وإشعارٌ بأنّ الموعظَةَ ممّا يَجِبُ أن يُرجَعَ إليه في كلِّ أمرٍ يُذكَرُ بِهِ، ألَا يَرى إلى أنَّ أكثَرَ الفواصلِ التّنزيليّةِ والرُّدُودِ على هذا النّمطِ نحوِ: (أفلا تتّقون) (أفلا تتذكّرون)، وإلى سورةِ الرّحمنِ كيفَ أُعيدَ فيها ما أُعيدَ؛ وذَلِكَ لِيَستأنِفَ السّامِعُ بِهِ ادِّكارًا واتِّعاظًا، ويُجَدَّدَ تَنبيهًا واستيقاظًا[5].

المَوعظةُ أولَى في طريقِ التّبليغِ، والـعـنـايـةُ بها أَشدُّ

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/193.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4348.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/98.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/252.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 9/57.

بَلاغةُ التَّعْبيرِ بلفْظِ ﴿فَخُذْهَا﴾، على طريقِ المَجازِ:

أخـذُ مـوسَى عليه السلام، إشارةٌ إلى معنَى التّلقّي والحِفْظِ

لم يُعَدَّ فِعلُ الأخذِ بالباءِ في قولِهِ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: لم يقُل: (خُذْ بها بقوّةٍ)؛ لأنَّه هنا مَجازٌ في التّلقّي والحفظِ؛ وهو أهَمُّ مِنَ الأخذِ بمعنى التَّمسُّكِ والعَمَلِ، فإنَّ الأوّلَ حَظُّ وليِّ الأمرِ والثّاني حَظُّ جَميعِ الأُمَّةِ. والباءُ في قولِهِ: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ للمُصاحَبةِ[1].﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾؛ فيه إشارةٌ إلى أنَّ الأخذَ يشيرُ إلى غايةِ القُربِ، والمُرادُ هاهنا صفاءُ الحالِ؛ لأنَّ قُرْبَ المكانِ لا يَصِحُّ على اللهِ سُبحَانَه[2].

نُكْتةُ الحذْفِ، في قولِهِ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾:

إيجـازٌ، لِـدلالةِ الـكـلامِ على المحذوفِ

في الكلامِ حذفٌ؛ أي: فقلْنا له: خذْها بقوّةٍ؛ أي: بجدٍّ ونشاطٍ.[3]، واستُغني بالمذكورِ إيجازًا لدلالةِ الكلامِ عليهِ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بلفْظِ (القوّةِ)، دونَ غيرِهِ:

القُوّةُ حَقيقتُها حالَةٌ في الجِسمِ يَتَأتَّى لهُ بها أن يَعمَلَ ما يَشُقُّ عَملُهُ في المُعتادِ فَتكونُ في الأعضاءِ الظّاهِرَةِ مِثلَ قُوَّةِ اليَدَينِ على الصُّنعِ الشّديدِ، والرِّجْلَينِ على المَشيِ الطّويلِ، والعَينَينِ على النّظرِ لِلمَرئيّاتِ الدّقيقةِ، وتكونُ في الأعضاءِ الباطِنةِ مِثلَ قُوَّةِ الدِّماغِ على التّفكيرِ الّذي لا يَستطيعُهُ غالبُ النَّاسِ، وعلى حِفظِ ما يَعجزُ عَن حِفظِهِ غالبُ النَّاسِ، ومنهُ قولُهم: قُوّةُ العقلِ. والقُوَّةُ هنا في قولِهِ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ تمثيلٌ لحالةِ العزمِ على العملِ بما في﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾، بمُنتهى الجِدِّ والحِرصِ دونَ تأخيرٍ ولا تَساهُلٍ ولا انقطاعٍ عندَ المَشَقَّةِ ولا مَلَلٍ، بِحالةِ القَويِّ الّذي لا يَستعصي عليهِ عَمَلٌ يُريدُهُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ في سورة [مريم: 12][4].

القـوّةُ كـلُّ ما يتأتى به عمل ما يَشقُّ، والعـزْمُ عليه بمُنتهَى الجِدِّ والحِرْصِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/99 - 100.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/568.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/281.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/99 - 100.

بَلاغةُ الالْتِفاتِ إلى خِطابِ مُوسَى عليه السلام:

الموعِظةُ والتّفصيلُ - على وجازتِهما - بما كانتا سببًا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: لأنّهما - مع كونِهما أُمَّهاتٍ وجَوامِعَ - مفصَّلتان، تَرجِعُ إليهما بُحورُ العلم، وتَنشَقُّ منهما يَنابيعُها. ولمَّا كانَ هذا هَكذَا تَسبَّبَ عنهُ حَتمًا قولُهُ تعالى التِفاتًا إلى خِطابِ مُوسى عليه السلام بخِطابِ التّأنيسِ إشارةً إلى أنَّ التزامَ التّكاليفِ صَعبٌ[1].

المـوعِـظـةُ والتّفصيلُ سَببٌ لـكـلِّ شَيءٍ، انْـبـثـقَ عـنـه خِطابُ التّأنيسِ

دَلالةُ أفعالِ الأمْرِ، على نزْعِ الإنسان ممّا أَلِفَ واعْتادَ:

ولأنَّ الإنسانَ حينَ يُؤمَرُ أمرًا قد يكونُ الأمرُ مُخالِفًا لرتابةِ مَا أَلِفَ، وحين يُنهَى نهيًا قد يكونُ هذا النّهيُ مُخالِفًا لرتابةِ ما أَلِفَ، وبذلكَ ينزعُ هذا النّهيُ أو ذلك الأمرُ الإنسانَ ممّا أَلِفَ، ويأخذُهُ ويخرِجُهُ عمّا اعتادَ.

بيـانُ مُـواجَـهـةِ إلْـفِ الـنّـفسِ، بِمُتَطّلباتِ المَنْهجِ المُنَزَّلِ

إنَّ الإنسانَ في هذه الحالةِ يحتاجُ إلى قوّةِ نفْسٍ تتغلَبُ على الشّهوةِ الرّتيبةِ الّتي تَخلقُها العادةُ، ولذلكَ فمَن يريدُ أن يُقبِلَ على مَنهجِ اللّهِ فعليهِ أن يعرفَ أنّ المَنهجَ سوف يخرِجُهُ ممّا أَلِفَ، ولابدّ أن يُقبِلَ على المَنهجِ بقوّةٍ وعزمٍ؛ ليواجهَ إلفَ النّفسِ؛ لأنَّ إلفَ النّفسِ قد يقولُ للإنسانِ: لا تفعلْ، والمَنهجُ يقولُ لهُ: افعلْ. فعلى المُؤمنِ أن يأخذَ التّكاليفَ بقوّةٍ؛ لأنَّ شهواتِ النَّفسِ تُحقّقُ متعَ الدّنيا الزّائلةَ، والمنهجُ يعطي متعةً طويلةَ الأجَلِ[2].

جَمالُ الالْتفاتِ، منَ الغَيْبةِ إلى الخِطابِ في السِّياقِ:

مَوضِعُ الالتفاتِ قولُهُ بصيغةِ الخطابِ ﴿فَخُذْهَا﴾، بعدَ أن كانَ الحديثُ بصيغةِ الغائبِ (له)؛ لينقُلَ الحدثَ إلى جوِّ الأمرِ مُباشرةً من دونِ مُقدِّماتٍ؛ ليدُلَّ على وجوبِ الالتزامِ بما أُوتِي، وكُلِّفَ بتبليغِهِ قومَه، ولذلكَ أعقبَهُ بلفظِ القوّةِ الدّالِّ على الجدِّ، والحزمِ، والعزمِ.

تـأكـيـدُ وُجـوبِ الْتزامِ الأمْرِ، لأنّه مَعْقِدُ النَّجاةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/110.

(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4348 - 4349.

بَلاغةُ اخْتِيارِ (الفاءِ)، وتَكرارِ لفْظِ (الأخذِ):

الأخـذُ بـقـوّةٍ، يَشتـمِـلُ عليه الأخْـذُ المُطلَقُ، وفي الإعـــادةِ زيادةٌ

قولُهُ: ﴿فَخُذْهَا﴾ يتعيَّنُ أنَّ الفاءَ دالّةٌ على شيءٍ من معنى ما خاطبَ اللّهُ به موسى، ولمَّا لم يقعْ فيما وَلِيته ما يصلحُ لأنْ يتفرَّعَ عنه الأمرُ بأخذِها بقوّةٍ تعيَّنَ أنْ يكونَ قولُهُ: ﴿فَخُذْهَا﴾ بدلًا من قولِهِ: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ بدلَ اشتمالٍ؛ لأنَّ الأخذَ بقوّةٍ يشتملُ عليه الأخذُ المُطلَقُ، وقدِ اقتضاهُ العوْدُ إلى ما خاطَبَ اللّهُ به مُوسى إثرَ صَعْقتِهِ؛ إتمامًا لذلك الخطاب، فأُعيدَ مضمونُ ما سبقَ ليتَّصلَ ببقيتِهِ، فيكونُ بمَنزلةِ أن يقولَ: (فخُذْ ما آتيتُكَ بقوّةٍ، وكُنْ مِنَ الشَّاكِرين)، ويكونُ ما بينَهما بمَنزلةِ اعتراضٍ، ولولا إعادةُ ﴿فَخُذْهَا﴾ لكانَ ما بينَ قولِهِ: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وقولِهِ: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ﴾ اعتراضًا على بابِهِ، ولمَّا اقتضى المقامُ هذا الفصلَ، وإعادةَ الأمرِ بالأخذِ، اقتضى حُسنُ ذلك أنْ يكونَ في الإعادةِ زيادةٌ، فأُخِّرَ مُقيّدَ الأخذِ، وهو كونُهُ بقوّةٍ، عنِ التَّعلُّقِ بالأمرِ الأوَّلِ، وعلَّقَ بالأمرِ الثّاني الرّابطِ للأمرِ الأوَّلِ، فليسَ قولُهُ: ﴿فَخُذْهَا﴾ بتأكيدٍ، وعلى هذا الوجهِ يكونُ نظمُ حكايةِ الخطابِ لموسى على هذا الأسلوبِ من نَظْمِ القرآنِ.

دَلالةُ الفاء واحْتِمالِ التَّكرارِ للتّوكيد اللّفْظيّ:

من دِقّةِ البيانِ تنوّعُ احتِمالاتِ الـــدّلالـــةِ في السِّياقِ

ويَجُوزُ أن يكونَ في أصلِ الخِطابِ المَحكيِّ إعادةُ ما يدلُّ على الأمرِ بالأخذِ لقَصدِ تأكيدِ هذا الأخذِ، فيكونُ توكيدًا لفظيًّا، والفاءُ مُؤكَّدةٌ، ويكونُ تَأخيرُ القيدِ تَحسينًا للتّوكيدِ اللّفظيِّ؛ ليكونَ مَعَهُ زيادةُ فائدةٍ، وَيكونَ الاعتراضُ قَد وَقَعَ بينَ التّوكيدِ والمُؤكَّدِ، وعلى هذا الوَجهِ يكونُ نظمُ الخطابِ على هذا الأسلوبِ من نَظمِ الكلامِ الّذي كلَّمَ اللّهُ بهِ مُوسى حُكِيَ في القرآنِ على أسلوبِهِ الصَّادرِ بهِ[1]، والضَّميرُ المؤنّثُ في قولِهِ: ﴿فَخُذْهَا﴾ عائدٌ إلى ﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾ باعتبارِ تقدُّمِ ذِكرِها في قولِهِ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾. والمَقُولُ لموسى هو مَرجِعُ الضَّميرِ، وفي هذا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/98 - 99.

الضَّميرِ تَفسيرٌ للإجمالِ في قولِه: ﴿مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾، وفي هذا تَرجيحُ كَونِ ماصَدَقَ ﴿مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ هو ﴿ٱلْأَلْوَاحِ﴾، ومَن جَعَلُوا ماصَدَقَ ﴿مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ الرِّسَالةَ والكلامَ جَعَلُوا الفاءَ عاطفةً لقولٍ مَحذوفٍ على جملةِ ﴿وَكَتَبْنَا﴾، والتّقديرُ عندَهُم: وَكَتَبْنا فَقُلْنا خُذْها بقوّةٍ[1].

نُكتةُ ذِكْرِ القُوَّةِ مع الأخْذِ في هذه الآيَةِ[2]:

الآيَـةُ السّابقةُ إجـمـالٌ في الإيـتـاءِ، وهـذه تـفـصـيـلٌ في الإيتاءِ والتّبليغِ

قالَ في الآيَةِ السّابقةِ: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ بدونِ لفظِ القوَّةِ، وقالَ هنا: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾؛ لأنّ الآيَةَ هناك مُنحصرةٌ في الإيتاءِ فقط، والآيةُ هنا في الإيتاءِ والتّبليغِ؛ فقد أَمَرَ اللّهُ تعالى مُوسى ﷺ بأن يأخذَ ما آتاهُ بقوّةٍ، ويُبلِّغَ قومَهُ، والتّبليغُ يحتاجُ إلى قوّةٍ، وجهدٍ، وعزيمةٍ.

كما أنّه في الآيَةِ السّابقةِ إجمالٌ في الأمرِ، وفي الثّانية تفصيلٌ فيه؛ فلمَّا أجملَ في الأمرِ أجملَ في الأخذِ، ولمَّا فصّلَ في الأمرِ فصّلَ في الأمرِ بالأخذِ؛ فناسبَ الإجمالُ الإجمالَ، وناسبَ التّفصيلُ التّفصيلَ، مع ملاحظة أنّ الآيَةَ السّابقةَ جاءَتْ عقبَ إفاقةِ موسى ﷺ بعدَ ما خرَّ صَعِقًا، والصّعقُ وَهنُ القُوى، فناسبَهُ عدمُ الأخذِ بقوّةٍ.

فائِدةُ التّفريقِ بينَ أخْذِ موسَى ﷺ، وأخْذِ قَومِهِ:

التّكليفُ كانَ على موسَى ﷺ أشدَّ؛ لأنّه كلِّفَهُ بالبَلاغِ والأداءِ معًا

وقالَ لموسى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بعزيمةٍ قويّةٍ ونيَّةٍ صادقةٍ، ثمّ أَمَرَهُ اللّهُ تعالى أن يَأمُرَ قومَهُ بأن يأخذُوا بأحسَنِها، وظاهِرُ ذلكَ أنّ بينَ التّكليفَينِ فَرقًا؛ لِيكونَ في هذا التّفصيلِ فَائدةٌ؛ بكونِ التّكليفِ كانَ على مُوسى ﷺ أشدَّ؛ لأنَّه تعالى لَم يُرَخِّصْ لهُ ما رَخَّصَ لِغيرِهِ، وقِيلَ: بل خصَّهُ مِن حيثُ كَلَّفَهُ البلاغَ والأداءَ، وإنْ كانَ مُشاركًا لِقومِهِ فيما عَداهُ. وفي قولِهِ: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾[3]، فَضْلًا عن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/99.
(2) يُنظر في وجوهِ إجابةِ النّكتةِ: هيبان، من روائع البيان: 5/194.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/193.

أنّ الأخذَ بالأحسنِ أقوَى مِن عُمومِ الأخذِ؛ فناسبَ أخذهُم بالأحسنِ، أخْذَه عليه السلام بقوَّةٍ[1].

نُكتةُ الفرقِ بين ﴿فَخُذْهَا﴾، وبين ﴿يَأْخُذُواْ﴾:

أخْـــذُهُ عليه السلام، دلالــةٌ قُـرْبـةٍ، وأخْـذُهُـم دَلالـةُ طَاعةٍ

فَرَّقَ أيضًا بينَ ما أمرَ به موسى مِنَ الأخذِ، وبينَ ما أمرَهُ أن يأمرَ به قومَهُ مِنَ الأخذِ، بأنّ أخذَ موسى عليه السلام، مِنَ الحقِّ على وجهٍ من تحقيقِ الزُّلفةِ، وتأكيدِ الوَصلةِ، وأخذَهم أخذُ قَبولٍ مِن حيثُ التزامُ الطّاعةِ[2].

سِرُّ تَعْدِيةِ (أخْذِ القومِ) بالباءِ، والتَّعْبيرِ عنه بالمَجازِ:

قولُهُ: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ تعريجٌ على ما هو حظُّ عمومِ الأمّةِ مِنَ الشَّريعَةِ وهو التَّمسُّكُ بها، فهذا الأخذُ مَجازٌ في التَّمسُّكِ والعملِ، وفي ذلك بيانٌ لسرِّ تعديةِ الأخذِ بالباءِ؛ وذلك لدلالتِها على اللّصوقِ، يُقالُ: أخذَ بكذا إذا تَمسَّكَ به، وقبضَ عليه، كقولِه: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ [الأعراف: 150]، وقولِه: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه: 94].

الإشــــارةُ إلى معنَى التَّمسُّكِ والعملِ، للأخْذِ بالهَدْيِ المُكتمِلِ

دَلالةُ (الباءِ) في قولِه: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾:

تَحتملُ الباءُ معنى التّوكيدِ؛ أي: أحسنُها، كما في قولِه:

سودُ المَحاجِرِ لا يقرَأنَ بالسُّوَرِ[3].

الــــبــــاءُ في الحالتَيْنِ، مُبْرِزةٌ إمّـا للحُسْنِ، وإمّا للأخْذِ

ويُحتمَلُ أن تكونَ الباءُ للإلصاقِ المعنويِّ، وحينئذٍ فهي: إمّا مُتعلِّقةٌ بـ﴿يَأْخُذُواْ﴾ بتَضمينِه معنى (يعملوا)، وإمّا هو مِنَ الأخذِ بمعنى السِّيرةِ، ومنهُ أخذُهُم؛ أي: سارَ سيرتَهُم وتخلَّقَ بها[4].

فائِدةُ جزْمِ الفعْلِ ﴿يَأْخُذُواْ﴾:

وجُزِمَ ﴿يَأْخُذُواْ﴾ جوابًا لقولِه: ﴿وَأْمُرْ﴾ تحقيقًا لِحُصُولِ امتثالِهم

تحقيقُ حُصولِ الامْتِثالِ المذكورِ، عندَ الأمْرِ المَبْرورِ

(1) هبيان، من روائع البيان: 5/194.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/568.
(3) هو الرّاعي. وصدر البيت: هُنَّ الحَرائِرُ ربّات أخمِرَةٍ.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 9/58 - 60.

عندَما يأمُرُهُم[1]، ففيهِ مُطلَقُ التّسليمِ، ومُنتهَى الإذعانِ لأمرِ مَن بيدِهِ الأمرُ كلُّهُ.

وُجُوهُ التَّعْبِيرِ بلفْظِ ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾:

قولُهُ: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾؛ أي: البالِغُ في الحُسنِ مُطلَقًا لا بالإضافةِ، وهو المَأمُورُ بِهِ كقولِهِم: الصَّيفُ أحرُّ مِنَ الشِّتاءِ[2]، فهو وصفٌ مَسلوبُ المُفاضَلةِ مَقصُودٌ به المبالَغَةُ في الحُسنِ. فإضافَتُها إلى ضَميرِ الأَلوَاحِ على معنى اللّام؛ أي: بالأحسَنِ الّذي هوَ لَها، وهوَ جَميعُ مَا فيها، فكلُّ ما فيها حَسنٌ؛ لِظُهُورِ أنّ ما فيها مِنَ الشّرائعِ ليسَ بينَهُ تَفاضُلٌ بينَ أحسَنَ ودُونَ الأحسَنِ، بل كُلُّهُ مَرتَبَةٌ وَاحِدةٌ فيما عُيِّنَ لهُ، ولِظُهُورِ أنَّهم لا يُؤمنون بالأخذِ ببعضِ الشَّريعَةِ وتَركِ بعضِها؛ ولأنَّ الشَّريعَةَ مُفَصَّلٌ فيها مَراتِبُ الأعمالِ، فلو أنّ بعضَ الأعمالِ كانَ عندَها أفضَلَ مِن بعضٍ، كالمَندوبِ بالنّسبةِ إلى المُباحِ، وكالرُّخصَةِ بالنّسبةِ إلى العَزيمةِ، كانَ التَّرغيبُ في العَملِ بالأفضلِ مَذكورًا في الشَّريعَةِ، فكانَ ذَلكَ مِن جملةِ الأخذِ بها، فَقرائنُ سَلبِ صيغةِ التّفضيلِ عنِ المفاضلةِ قائمةٌ واضحةٌ، وهذه الآيَةُ نظيرُ قولِهِ تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزُّمر: 55]. والمعنى: وأمُرْ قومَكَ يَأخُذُوا بما فيها لِحُسنِها[3].

سلبُ دَلالةِ صِيغةِ التّفضيلِ، مُبالَغةٌ في الحُسْنِ

دَلالةُ ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾، على الأخْذِ بالأحْسَنِ والامتناعِ عنِ الأقْبحِ:

ويَحتمِلُ التّفضيلُ اعتراضَ مُباحَين؛ فيأخذونَ الأحسنَ منهما ممّا أجرُه أكثرُ من غيرِهِ، كالصّبرِ والعفوِ والقِصاصِ، والصّبرِ والانتصارِ على طريقةِ النَّدبِ، والحثِّ على الأفضلِ، كقولِهِ تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزُّمر: 55]، أو بواجباتِها، فإنَّ الواجبَ

الأخذُ بالأحْسَنِ، مَأمورٌ اللهُ، لإنقاذِ القومِ منَ الضّلالِ والفِسْقِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/101.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/34.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/453، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/271، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/101.

أحسَنُ مِن المُباحِ، والمندوبِ، وغيرِهما[1]. قد يُرادُ بالأحسَنِ المأمورُ به فَضْلًا عنِ المَنهيِّ عنهُ؛ لأنَّه أحسَنُ منهُ، وكذلكَ النَّاسخُ بالإضافةِ إلى المنسوخِ ونَحوِ هَذا[2]، وقَيَّدَهُم بالأحسنِ لِيكونَ الحَسَنُ جِدًّا مَانِعًا لَهم مِنَ الوصولِ إلى القَبيحِ، وذلك كالاقتِصاصِ والعفوِ والانتصارِ والصّبرِ. ولمّا كانَ كأنَّهُ قِيلَ: وهَل يَترُكُ الأحسَنَ أحَدٌ؟ فقِيلَ: نَعم، الفاسِقُ يَترُكُهُ، بَل ويَتَجاوَزُ الحَسَنَ إلى القبيحِ، بَل وإلى أقبحِ القَبيحِ، ومَن تَرَكَهُ أهلَكتُهُ، وإن جلَّ آلُهُ، وعَظُمَت جنودُهُ وأموالُهُ[3].

عِلّةُ التَّعْبِيرِ بقولِهِ: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

في الجُملةِ بِشارةٌ وإنْذارٌ، لِتَوخِّي الالتزامِ، ومُجانفةِ الفِسْقِ

الكلامُ مُوَجَّهٌ إلى موسى ﷺ فيجوزُ أن يكونَ مُنفصِلًا عَنِ الكلامِ الّذي قبلَهُ، فيكونُ استِئنافًا ابتدائيًّا: هو وعدٌ لَهُ بدخولِهِمُ الأرضَ المَوعودةَ، ويجوزُ أن تكونَ الجُملَةُ مُتَّصلةً بما قبلَها، فتكُونُ مِن تمامِ جملةِ ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ على أنَّها تَحذيرٌ مِنَ التَّفريطِ في شيءٍ ممّا كُتِبَ لهُ في الألْوَاحِ، والمعنى: سأُبيِّنُ لَكُم عِقابَ الّذين لا يَأخُذُونَ بها[4]، والبشارةُ بإتمامِ الوَعدِ بِنُصرتِهِم عليهم بطاعَتِهِم، والنّذارةُ على تقديرِ مَعصيتِهِم، فكأنَّه قِيلَ: إن أخَذُوا بالأحسنِ أرَيتُهُم دارَ الفَاسِقين، وأتمَمتُ عليهمُ النِّعمَةَ ما دامُوا على الشُّكرِ، وإنْ لم يأخُذُوا أهلكتُهُم، كَمَا أُهلِكُ الفَاسِقينَ مِن بينِ يديهم، فَحَذَّرَهُم لِئلَّا يَفعَلُوا أفعالَهم إذا استقرَّت بِهِم الدّارُ، وزالَت عنهُمُ الأكدارُ[5].

بَلاغةُ التَّعْبِيرِ عن وعْدِ الرُّؤيةِ، على طريقِ الالْتِفاتِ:

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ تَلوينٌ للخِطابِ وتَوجيهٌ له إلى قومِهِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/453، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/34، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/270 - 271، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/278.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/453.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/110 - 111.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/101.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/111.

عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بطريقِ الالتفاتِ مِنَ الغيبةِ إلى التَّكلُّمِ حمْلاً لهم على الجِدِّ في الامتثالِ بما أُمِرُوا بهِ، ومُبالغةً للحثِّ على الطّاعةِ؛ إمّا على نهجِ الوعيدِ والتّرهيبِ على أنّ المُرادَ بـ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أرضُ مِصرَ، وديارُ عادٍ وثمودَ؛ فإنّ رُؤيتَهَا خاويةً على عروشِها، خاليةً مِن أهلِها، مُوجِبةٌ للاعتبارِ والانزجارِ عن مِثلِ أعمالِ أهلِها؛ كيلا يَحِلَّ بِهِم ما حَلَّ بأولئكَ، وإمَّا على نهجِ الوعدِ والتّرغيبِ للمُبالَغةِ بحضِّهِم على سلوكِ نهجِ الصّالحينَ. على أنَّ المرادَ ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ إمّا أرضُ مِصرَ خاصّةً، وإمّا مع أرضِ الجَبابرةِ والعَمالقةِ بالشّامِ، فإنّها أيضًا ممّا أُتيحَ لِبني إسرائيلَ، وكُتِبَ لهم بحسبِ قولِهِ تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 21][1].

الـحَـمْـلُ على الـجِـدِّ في الامتِثالِ، بالحثِّ عـلى الـطّـاعـةِ، بأحْسَنِ الفِعالِ

وُجوهُ التَّعْبيرِ بفعْلِ الرُّؤيةِ ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾:

والفعلُ مِن (رأى) البصريّة؛ لأنّها عُدِّيَت إلى مَفعولَين فقط[2]، ويجوزُ أن يكونَ سأُريكُم خطابًا لقومِ موسى، فيكون فعلُ أُريكم كنايةً عنِ الحُلُولِ في دارِ الفاسِقينَ؛ والحُلُولُ في ديارِ قَومٍ لا يكونُ إلّا للفتحِ والغَلَبَةِ، فالإراءةُ رَمزٌ إلى الوعدِ بفتحِ بلادِ الفاسِقينَ، والمُرادُ بالفاسِقينَ المُشركونَ، فالكلامُ وعدٌ لِموسى وقومِهِ بأن يَفتَحُوا ديارَ الأممِ الحالَّةِ بالأرضِ المُقدَّسَةِ الّتي وَعَدَهُم اللّهُ بها، ولا يَخفى حُسنُ مُناسبةِ التَّعبيرِ عن أولئكَ الأقوامِ بالفَاسِقينَ على هذا الوَجهِ[3]. وقِيلَ المُرادُ بـ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ديارُ الأممِ الخاليةِ مِثلَ ديارِ ثَمودَ

الرُّؤيةُ كِنايةٌ عنِ الوعْدِ بفتْحِ بلادِ الفَاسِقينَ، وعنِ الـدّيـارِ الخـاليةِ بعْدَ هلاكِهم

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/271، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 10/157.

(2) ولو كانَ مِن رؤيةِ القلبِ لتعدّى بالهمزةِ إلى ثلاثةِ مفاعيلَ، وهو مَنقولٌ عن ابن زيدٍ وغيره، والمعنى: سأُعْلِمُكُمْ سَيْرَ الأوّلين، وما حَلَّ بهم مِنَ النَّكالِ: وقيل: ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ما دَارَ إليه أمرهم، وذلك لا يُعْلَمُ إلّا بالإخبارِ والإعلامِ.قال ابنُ عطيَّة - مُعترِضًا على هذا الوجه -: ولَوْ كَانَ مِن رؤيةِ القلبِ لتعدَّى بالهمزةِ إلى ثلاثةِ مَفاعيل.ولو قالَ قائلُكَ: المفعولُ الثّالثُ يتضمّنُه المعنى، فهو مُقَدَّرٌ؛ أي: مذمومة أو خربة أو مُسَعَّرة - على قولِ مَن قالَ: إنَّهَا جهنّمُ - قِيلَ له: لا يَجُوزُ حذفُ هذا المفعولِ، ولا الاقتصارُ دُونَهُ؛ لأنَّهَا داخلةٌ على الابتداءِ والخبرِ، ولو جُوِّزَ لكانَ على قبحٍ في اللّسان، لا يليقُ بكتابِ اللهِ تعالى. انتهى من ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 9/308.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/102.

وقَوم لُوطٍ الّذين أهلَكَهُم اللّهُ لِكفرِهِم؛ أي: سَتَمُرُّونَ عليهم؛ فَتَرَونَ ديارَهُم؛ فَتتَّعِظونَ بسُوءِ عاقبتِهِم لِفسقِهِم، وفيه بُعْدٌ؛ لأنَّ بني إسرائيلَ لم يَمُرُّوا مع موسى على هذهِ البلادِ[1].

بَديعُ إيثارِ فعْلِ الرُّؤيةِ، على فعْلِ الإدْخالِ:

أُوثِرَ فِعلُ: ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ دونَ نحوِ: (سَأُدخِلُكم)؛ لأنَّ اللّهَ مَنَعَ مُعظَمَ القومِ الّذين كانُوا مع مُوسى مِن دُخُولِ الأرضِ المُقدَّسَةِ لَمّا امتَنَعُوا مِن قِتالِ الكَنعانيِّينَ كَما تَقدَّمَ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26][2].

دُخـولُ الأرضِ المُـقـدَّسـةِ لم يَشمَلِ الجميعَ، بـل شـمـلَ غـيرَ المُعاقَبِين بالتِّيهِ

نُكتةُ اخْتِيارِ لفْظِ الدّارِ، في قولِه: ﴿دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾:

الدّارُ: المكانُ الّذي تسكُنُهُ العائلةُ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القَصص: 81]، والمكانُ الّذي يَحُلُّهُ الجماعةُ مِن حَيٍّ أو قبيلةٍ كما قالَ تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأعراف: 91].

تُطلَقُ الدّارُ على ما يـكـونُ عليه أحـوالُ النّاسِ، ومـآلاتُـهـم ومَصائِرُهم

وتُطلَقُ الدّارُ على ما يكُونُ عليه النّاسُ أو المَرءُ مِن حالةٍ مُستمَرَّةٍ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرّعد: 24]، وقد يُرادُ بها مَآلُ المرءِ ومَصيرُهُ؛ لأنّهُ بمَنزِلةِ الدّارِ يأوي إليهِ في شَأنِهِ[3]. وذَكَرَ الدّارَ لئلّا تَغُرَّهُم مَنعَتُها إذا استَقَرُّوا بها فَيَظُنُّوا أنْ لا غالِبَ لهم فيها بوعُورةِ أرضِها وشُهُوقِ جبالِها وإحكامِ أسوارِها[4].كما أنَّ في إيثارِ لفظِ ﴿دَارَ﴾ وإضافتِها إلى ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ إشارةً إلى ما دارَ إليه أمرُهُم مِنَ الهلاكِ بسببِ فِسقِهِم، والدّائرةُ الدّاهيّةُ، تُحيطُ بمَن نزلَت بهم.

دَلالةُ إدْخالِ سينِ الاسْتقبالِ، في: ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾:

السّينُ في ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ حرفُ تسويفٍ يفيدُ توكيدَ تحقُّقِ الفعلِ في المُستقبلِ[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/103.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/102.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/101.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/111.
(5) الجلالان، المفصّل، ص: 599.

سِرُّ انْتِقاءِ لفْظِ ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، دونَ غيرِهِ:

التّنبيهُ على أنَّ العاقبةَ مُسبَّبةٌ، عـنِ الـشِّـزْكِ وفاسِدِ الأعمالِ

اختيارُ وَصْفِ ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ دونَ المُشركينَ والظّالمينَ الشّائعِ في التَّعبيرِ عنِ الشّركِ في القرآنِ؛ للتَّنبيهِ على أنَّ عاقبتَهُمُ السُّوأى تَسَبَّبَت على الشّركِ وفاسِدِ الأفعالِ معًا[1].

وأصلُ الفِسقِ: خروجُ الشّيءِ مِن مكانِهِ ومحلِّهِ، ومنه: اشتقاقُ الفاسِقِ مِن بني آدمَ؛ لأنّه يَخرُجُ عنِ الشّرعِ، ولمَّا كانَ همُّ كلِّ خارجٍ مِن مُحيطٍ أن يأوي إلى مكانٍ حصينٍ أُوثِرَ لفظتا ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: مَأوَى الخارجينَ عن طاعةِ اللّهِ وشرعِهِ، ولكنَّهم صاروا كالمُستَجيرِ مِنَ الرّمضاءِ بالنَّارِ، فهُم يَمشونَ إلى هلاكِهِم بأقدامِهِم، فكانَ حالُهم كحالِ القائلِ[2]:

إلَى حتفي مَشَت قَدمي *** أرى قَدمي أراقَ دَمي

وإذا أرادَ اللّهُ إهلاكَ عبدٍ أهلكَهُ بيدِهِ، حتّى يخرجَ على نفسِهِ.

نُكتةُ العُدولِ عن تَسميّةِ الأممِ بأسمائِهِم إلى ذكرِ صفاتِهم:

تَـركُ التّسميّةِ أجْمعُ وأوْجزُ

العُدولُ عن تسميةِ الأممِ بأسمائِهِم إلى التَّعبيرِ عنهُم بوَصفِ ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أدَلُّ على تَسبُّبِ الوصْفِ في المصيرِ الّذي صاروا إليه؛ ولأنَّه أجمعُ وأوجزُ[3].

عِلَّةُ المُخاطَبةِ بضَمِيرِ الجمْعِ في: ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾:

الخطابُ شاملٌ لموسَى عليه السلام ومَن معَهُ، باعتبارِه الرَّمْزَ

وخُوطِبَ بضَمِيرِ الجمعِ باعتبارِ مَن معَهُ مِن أصحابِهِ شُيوخِ بَني إسرائيلَ، أو باعتبارِ جَماعةِ قومِهِ، فالخِطابُ شاملٌ لمُوسى ومَن معَهُ[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القوّةُ، والقُدرةُ، والشّدّةُ:

إنّ القويَّ هُوَ الَّذي يَقدِرُ على الشَّيءِ، وعلى مَا هُوَ أكثرُ مِنهُ، ولهَذَا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/103.
(2) البيت من مجزوءِ الوافرِ، وهو لأبي الفتح البستيّ، في شرح عقود الجمان: 2/141.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/103.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/101 - 102.

القـوّةُ تُساوِي القُدرةَ وزيادةً، وهـي تمثيلٌ لحالة العَـزْمِ للعمَلِ بِما في الألواح، والشِّدّةُ غيرُ ذلك

لَا يجوزُ أَنْ يُقَالَ للَّذي استفرغَ قُدرتَهُ في الشَّيءِ: إنَّه قويَ عَلَيهِ، وإنَّما يُقَالُ لَهُ: إنّه قويَ عَلَيهِ إذا كَانَ في قُدرتِهِ فضلٌ لغيرِهِ، قَالَ بَعضُهُم: القويُّ القَادرُ العَظِيمُ الشَّأنِ في مَا يَقدِرُ عَلَيهِ[1].

والشِّدَّةُ: في الأَصلِ هِيَ مُبَالَغَةٌ في وصْفِ الشَّيءِ في صلابةٍ، ولَيسَ هُوَ مِن قَبيلِ القُدرَةِ، ولِهَذَا لا يُقَالُ للّه: شَدِيدٌ[2]، فالشِّدَّةُ تُستعمَلُ في العَقدِ، وفي البَدنِ، وفي قُوى النّفسِ، وفي العَذابِ، ووُصِفَت بها الملائكةُ[3]، وقد تقدَّمَ في شرحِ الألفاظِ أنّ مَعنى (القوّة) شِدّةُ البَدنِ والتئامُ الأَثناءِ، وهو ضدُّ الضّعفِ؛ أي: بجدٍّ، وصحّةٍ، وعزيمةٍ، وهي تُناسِبُ مَقامَ التّبليغِ؛ لأنّه يحتاجُ إلى همّةٍ، وعزيمةٍ، وجُهدٍ، وجدٍّ، ويَصدُقُ على كلِّ ذلك لفظُ القوّةِ وليسَ الصّلابةَ.

والقوَّةُ حَقيقَتُها حالَةٌ في الجسمِ يَتَأَتَّى لهُ بها أن يَعملَ ما يَشُقُّ عَمَلُهُ في المُعتادِ، فَتكونُ في الأعضاءِ الظّاهرةِ مِثلَ: قُوَّةِ اليَدينِ على الصُّنعِ الشّديدِ، والرِّجلَينِ على المَشيِ الطّويلِ، والعَينَينِ على النّظرِ لِلمَرئيّاتِ الدّقيقةِ، وتَكونُ في الأعضاءِ الباطنةِ، مِثلَ: قُوّةِ الدّماغِ على التّفكيرِ الّذي لا يَستطيعُهُ غَالبُ النَّاسِ، وعلى حِفظِ ما يَعجزُ عن حِفظِهِ غالبُ النَّاسِ، ومنه قولُهُم: قُوّةُ العَقلِ. والقُوَّةُ هنا في قولِهِ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ تمثيلٌ لحالةِ العَزمِ على العملِ بِما في ﴿ٱلْأَلْوَاحِ﴾، بِمُنتَهى الجدِّ والحِرصِ دونَ تَأخيرٍ ولا تَساهُلٍ ولا انقطاعٍ عندَ المَشقَّةِ ولا مَلَلٍ، بِحالةِ القَويِّ الّذي لا يَستَعصي عَلَيهِ عَمَلٌ يُريدُهُ. ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ في سورة [مريم: 12][4].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 106.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 107.
(3) الرّاغب، المفردات: (شدَّ).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/99 - 100.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»